المحاضرة السّابعة: المنهج التاريخي

1/ما هو المنهج النّقدي؟

المنهج النّقدي: هو تلك الطريقة التّي يتبعها النّاقد في قراءة العمل الإبداعي قصد استكناه دلالاته وبنياته الجمالية والشكلية، ومن بين المناهج النقدية نجد: المنهج التاريخي.

2/ بمَ يهتم المنهج التاريخي؟

أ/ ما هو المنهج التاريخي ؟

لقد كانت ثمرةُ استفادة النقاد من التاريخ، ظهور منهج نقديّ أُطْلِقَ عليه "المنهج التاريخي"، وهو منهج يتّخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبيّ لأمّة ما، ومجموع الآراءِ التي قِيلت في أديبٍ ما، أو في فنٍّ من الفنون.

يتّكئُ النّقد التاريخي على حدّ تعبير **"عبد السلام المسدي"** في كتابه (آليات النّقد الأدبي) : (**على ما يشبه سلسلة من المعادلات النّسبية: فالنصّ ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفرازٌ للبيئة، والبيئة جزءٌ من التاريخ، فإذًا النّقد تأريخٌ للأديب من خلال بيئته**).

يعتمد المنهج التاريخي على مبدأ الشّرح والتّفسير، فالنّاقد يستخدمُ المنهج« لتفسير ووصفِ ماضي الظّواهر الأدبية، ويوضّح لنا: كيف جاءت، ومن أين، ومتى ظهرت؟ فإذا طُبِّقَ المنهج التاريخي للأدب دون الاستنادِ إلى وثائق يقينية مؤكّدة، يكون النّاتجُ حتمًا بعض الافتراضات الظنية غير القابلة للتحقيق، ولكن منهج تاريخ الأدب الحق، هو الذّي يعتمد أصلًا على الحقائق المؤكّدة والثابتة، استنادًا إلى الوثائق الأصلية التي تُستخدَم لاستجلاء الوقائع الأدبية» .

وبالتّالي يَهتم المنهج التاريخي بـــ:

- يهتمّ المنهج التاريخي بدراسة الأدب من حيث تأثر العمل الأدبي أو صاحبه بظروف العصر (الشاعر ابن بيئته).
- الحياة الاجتماعية والسياسية التي تدخل في تشكيل ثقافة المبدع.
- دراسة المراحل التاريخية لفنّ من الفنون، ومعرفه التطوّرات الطارئة عليه، حيث يتتبّع مثلاً أحد الفنون، ويقوم بتقصّي التطوّرات التي تحدث له.(مثلا: الرواية وتطوّرها على مرّ التاريخ).
- التأكد من صحّة نسبة النّصوصِ إلى أصحابها.

- يُعنَى بفهم النّصوص الأدبية في سياقها الزّماني والمكاني وتوضيحها للآخرين دون إصدارِ أحكام عليها أو مقارنتها مع غيرها أي إنّ هذا المنهج يهتمّ بالسياق الخارجي للنص.

3/ أهم رواد النّقد التاريخي الغربي:

لعلّ مِن أشهر النّقاد الذّين ظهر لديهم التّوجه العلمي التّجريبي في منهج دراستهم للأدب هو:(أرنست دانيال 1823 _1892) وكذلك (سانت بيف 1804 _1869) و (هيبوليت تين (1828 _ 1893) و (برونتيير 1849 _ 1906)، ولقد مضى هؤلاء النّقاد يُنكرون التذوّق الأدبي والشخصي، وكلّ ما يتّصل بالذّوق وأحكامه في مجال دراسة الأدب، وأخذوا يضعون قوانين ثابتة للأدب ثبات قوانين العلوم الطبيعية، قوانين تُطبّق على كلّ الأدباء كما تُطبّق قوانين الطبيعة على كلّ العناصر.

- **هيبوليت تين (H. Tain) : (١٨٢٨ _ ١٨٩٣):**

فيلسوف ومؤرّخٌ فرنسي، فقد جاء بثلاثيته الشهيرة:(الجنس، البيئة، الزمن)، وهذه تفاصيلها:

- **العرق أو الجنس:(Race):** بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمّة الواحدة المنحدرة من جنسٍ معين.
- **البيئة أو المكان أو الوسط:(Milieu):** بمعنى الفضاء الجغرافي وانعكاساته الاجتماعية في النصّ الأدبي.
- **الزّمان أو العصر: (Temps):**أي مجموعة الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرًا على النص.

4/ المآخذ على المنهج التاريخي (عيوبه):

- الغالب فيه يدور على المؤثرات الخارجية ويُهمِلُ إلى حدٍّ ما النصّ. يقول "**محمد مندور**" في هذا الشأن: النّقد التاريخي تمهيدٌ ضروري للنّقد الأدبي، ولكن دون التوقّف عنده، وإلّا صار كَجَمْعِ المواد الأولية دون بناء، فالاكتفاء بجمع الحيثيات حول النصّ، يحوّل النصّ إلى تاريخ).
- المنهج التاريخي يقتصرُ على الملاحظة: ملاحظة المكان والزّمان، وبالتالي يُصبحُ النّاقد مؤرّخًا وليس فنانا.
- إرجاع مظاهر النّبوغ والعبقرية إلى العوامل البيئية وإهمال الموهبة الفطرية والصفات الشخصية للأديب، وقد نسي هؤلاء أنّه قد يعيش في البيئة نفسها أديبانِ يتفوّق أحدهما عن الآخر، وذلك لِمَا يمتلكُه من الاستعداد الفطري، وهذا بالضبط ما يُهمله المنهج التاريخي.

- التّاريخ قد يدخُل فيه تداخل الأجناس وتبادل الثقافات، هذا يعني أنّه يخلو من القطعية التامة.

د. وافية حملاوي